

حرب الدعاية: إسرائيل وحماس في معركة على الصورة الأخيرة للشهيد يحيى السنوار

الثلاثاء 22 أكتوبر 2024 05:58 م

انتهت مطاردة الجيش الإسرائيلي لزعيم حماس يحيى السنوار التي استمرت عامًا يوم الأربعاء في معركة أودت بحياته والآن تأتي المعركة لتحديد صورته عند الوفاة

تتسابق إسرائيل وحلفاؤها لتصوير وفاة السنوار في قطاع غزة على أنها وفاة هارب - مطارذ، وطُرد من مخبئه تحت الأرض وأطلق عليه الرصاص أثناء فراره. أصدر الجيش صورًا بيانية لجثته ولقطات من طائرة مسيرة للحظات الأخيرة، تظهر شخصًا مصابًا ملقى على كرسي، وحيدًا وينزف، وعلق ممثلو الكيان الصهيوني واصفين نهاية الشهيد بأنها "نهاية الجبان"، ووصفت الشهيد بالـ "جذ خارج جحره" و"دودة". ولكن أنصار السنوار كان لهم نظرة أخرى على جوانب من نفس الصور - الملابس العسكرية والكوفية الفلسطينية الملفوفة حول وجهه - لتمجيده على أنه محارب سقط وهو يقاتل. يقولون إن الفيديو لا يظهر الهزيمة بل التحدي، مقاتل مصاب بجروح قاتلة يجد القوة لإلقاء قطعة من الخشب على الطائرة مسيرة بذراعه السليمة.

ووفقًا للخبراء في المنطقة، في معظم أنحاء العالم العربي على الأقل، تخسر إسرائيل حرب الدعاية في غضون ساعات، ووضعت الصور التي أصدرتها قوات الدفاع الإسرائيلية على الملصقات ولصقتها على الجدران في جنين وأماكن أخرى في الضفة الغربية حولها المستخدمون على وسائل التواصل الاجتماعي العربية إلى ميم للاحتفال بما اعتبروه نهاية بطولية.

وأصدرت بعثة إيران لدى الأمم المتحدة بيانًا يقارن بين تصرفات السنوار الأخيرة وأفعال الدكتاتور العراقي صدام حسين، الذي وصفته بأنه خان أنصاره من خلال "التوسل" من أجل حياته عندما أخرجته القوات الأمريكية من حفرة في عام 2003. وتوقع الإيرانيون أن صورة السنوار "واقعة في ساحة المعركة - بري قتالي وفي العراء، وليس في مخبأ، يواجه العدو" لن تؤدي إلا إلى تقديسه.

وقالت بيفرلي ميلتون إدواردز، زميلة بارزة في مجلس الشرق الأوسط للشؤون العالمية، والتي ترى الحلقة على أنها فوز لحماس "في معركة الروايات": "إنهم على حق على الأرجح".

وتمسك مسؤول في جيش الدفاع الإسرائيلي بقرار نشر الصور، وقال لصحيفة واشنطن بوست إن الجيش شعر بالتزام بتوثيق المشهد ومشاركته مع الجمهور الإسرائيلي.

وقال المسؤول، الذي تحدث بشرط عدم الكشف عن هويته لمناقشة المداولات الداخلية: "نحن شفافون؛ هذا ما حدث. نحن نعلم أنه بغض النظر عن الصور التي تظهر، ستكون هناك حملة من حماس لجعله بطلاً".

بعد تأكيد اختبار الحمض النووي وبصمات الأصابع على هوية السنوار، بدأ جيش الدفاع الإسرائيلي في وصف الظروف التي أدت إلى وفاته.

صادفت القوات الإسرائيلية العاملة حول رفح يوم الأربعاء، ثلاثة مقاتلين من حماس، وكان أحدهم يتتبع الآخرين. وقالوا إن تبادل إطلاق النار اندلع. وأصيب الرجل في الخلف، الذي يُعتقد الآن أنه السنوار، على الرغم من أن مسؤولي جيش الدفاع الإسرائيلي قالوا "لا يوجد دليل" على مشاركته في إطلاق النار.

فر الشخص المصاب بمفرده إلى منزل قريب. وأُرسلت طائرة مسيرة للمراقبة وصورته في الكرسي الملطخ بالدماء، ورأسه مغطى ووجهه مخفي. وأطلقت قوات الاحتلال طلقات من الدبابات على الغرفة، وفي صباح اليوم التالي، دخلت القوات للعثور على جثة السنوار. وأشار ميلتون إدواردز إلى أن هذه الرواية، إلى جانب الصور واللقطات التي أصدرت بعد ذلك، كانت تتعارض مع الأوصاف الإسرائيلية المتكررة له وهو يختبئ تحت الأرض، ويحمي نفسه متخذًا الأسرى الإسرائيليين كردوع بشرية.

قالت ميلتون إدواردز، المؤلفة المشاركة لكتاب "حماس"، وهو تاريخ الجماعة: "لم يكن في نفق، ولم يكن هناك رهائن إسرائيليون مذكورون وهزيلون مرتبطون به، ولم تكن هناك دروع بشرية فلسطينية".

وأضافت: "لقد دخلت صور السنوار بالفعل إلى معبد حماس والجماعات المسلحة الأخرى"، ومن المرجح أن تؤدي إلى "مزيد من الدعم، والمزيد من المجندين والمزيد من الزخم للمقاومة".

وقال المسؤول في جيش الدفاع الإسرائيلي إن وفاة السنوار ليس في غارة منسقة بعناية ولكن في لقاء صدفة في دورية روتينية، كانت شهادة على الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية، التي شددت الخناق على آخر معازل حماس في الجنوب وسمحت للجند بالاستفادة من "خطأه" عندما خرج من الأنفاق. وقال المسؤول إن ظروف وفاته لا تغير حقيقة أن السنوار قضى "95 في المائة" من العام الماضي تحت الأرض.

وأضاف المسؤول: "من الواضح أن هذا لم يعكس الطبيعة الحقيقية لسلكه طوال الحرب". وفي محاولة لتأكيد هذه النقطة، نشر جيش الدفاع الإسرائيلي يوم الأحد لقطات للسنوار وهو يدخل نفقا مع عائلته قبل يوم واحد من هجمات السابع من أكتوبر من العام الماضي. ولكن هذه ليست الصورة التي من المرجح أن يتذكرها العديد من الفلسطينيين. ففي رام الله، المدينة الواقعة في الضفة الغربية التي تسيطر عليها فتح، كان فيصل سعيد، المنافس السياسي الرئيسي لحماس، البالغ من العمر 60 عاما، يشاهد الأخبار في مقهى في الصباح التالي لإعلان وفاة السنوار.

وقال إن السنوار "لم يكن مختبئًا كالجبان كما قال الإسرائيليون". وأضاف سعيد "كان في قمة نشاطه ويقاتل"، وأن معركته الأخيرة "ستسجل في التاريخ".

وداخل إسرائيل، استقبلت صور السنوار بفيض من الفرح والارتياح - في الشوارع وعلى وسائل التواصل الاجتماعي ونشر بعض الإسرائيليين مقاطع فيديو لأنفسهم وهم يرقصون مع مطبوعات تظهر زعيم حماس الشهيد.

وحتى الإسرائيليون الذين طالبوا لأشهر بأن تتوصل الحكومة إلى وقف إطلاق النار والإفراج عن الرهائن مع السنوار، بما في ذلك عائلات الرهائن، أعربوا عن ارتياحهم لأن جيش الدفاع الإسرائيلي تمكن أخيرا من إسقاط مهندس هجمات السابع من أكتوبر. وفي بيان أصدره الرئيس جو بايدن يوم الخميس أشاد فيه بوفاة السنوار، قارن اللحظة في إسرائيل "بالمشاهد التي شاهدها جميع أنحاء الولايات المتحدة بعد أن أمر الرئيس أوباما بالغارة لقتل أسامة بن لادن في عام 2011".

ولكن كانت هناك اختلافات ملحوظة أيضا: فبعد أن قتلت القوات الخاصة الأميركية زعيم تنظيم القاعدة في باكستان، لم تنشر الولايات المتحدة صورًا لجثته علناً، والتي دفنت بسرعة في البحر بعد تحديد الحمض النووي كما حُجبت لقطات الغارة نفسها لمنع استخدامها كأداة دعائية.

ربما كان من الأفضل لإسرائيل أن تتبنى نفس النهج المنضبط مع مواد السنوار، وفقا لمايكل ميلشتاين، رئيس الشؤون المدنية الفلسطينية السابق للجيش الإسرائيلي الذي قال: "ربما كان الإعلان كافيا، أو صورة واحدة أكثر عمومية" لم يكن من الضروري حقًا تقديم كل التفاصيل، التي ساهمت في صنع أسطورة السنوار".

لكن الاحتفاظ بهذه التفاصيل طي الكتمان قد لا يكون ممكنًا بعد الآن عندما يحمل جميع الجنود الهواتف الذكية وقد نشرت قوات جيش الدفاع الإسرائيلي في المنطقة بعض الصور الأولى غير المؤكدة للسنوار، متجاوزة أي رسائل استراتيجية.

وقال المسؤول الإسرائيلي "هناك إيجابيات وسلبيات لذلك، ولكن في عام 2024، من الصعب جدًا ألا تخرج الصور المرئية".

<https://www.washingtonpost.com/world/2024/10/20/yahya-sinwar-gaza-hamas-isarel-drone/>